

الحلقة الثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، هناك خطر كبير يهدد المجتمعات والعائلات لا بل الدول والشعوب. وهذا الخطر هو خطر الانقسام. فعندما تنقسم العائلة فمعنى هذا أنها ستخرب وتتعرض للانهايار. كذلك المجتمعات والدول والشعوب إذا انقسمت لأصاها الشلل، وقد يؤدي هذا لنشوب الحروب الأهلية بين أفراد الشعب الواحد. ولعلّ هذا ما عانت منه وما تزال تعاني بعض شعوبنا العربية، فعم الخراب البلاد، وسالت دماء كثيرة نتيجة لذلك. أما بالنسبة للأسر أو العائلات فكم من عائلة خربت وانهارت نتيجة الانقسام الذي نتج عنه الطلاق بين الزوجين، وأدى إلى تشرد الأولاد.

حول موضوع مخاطر الانقسام تحدّث المخلص المسيح. وكان ذلك بمناسبة اتهامه اتهاماً باطلاً من قبل جماعة الفريسيين، وهم فرقة يهودية متزمتة. كتب البشير متى قائلاً: «حِينَئِذٍ أَحْضَرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسٌ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الْأَعْمَى الْأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. فَبُهَّتْ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟». أَمَّا الْفَرِيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبِعْزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ». فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لَا يَثْبُتُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدْ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبِعْزَبُولَ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذَلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتِكُمْ!» (بشارة متى ١٢: ٢٢-٢٨). سنتأمل بهذه الحادثة وتصريح المسيح رداً على اتهامات الفريسيين له.

مستمعي الكريم، كانت من عادة المخلص المسيح أن يشفي المرضى وذوي العاهات، وحتى أنه أقام الموتى. لهذا لم يكن غريباً أن يشفي المجنون الأعمى والأخرس الذي قدّم إليه، فنكلم وأبصر. وقد بهتت الجموع وأخذوا يتساءلون: هل هذا هو ابن داود؟ أي هل هذا هو المسيح ابن داود الذي تنبأ عنه الأنبياء؟ وبالطبع لم تعجب الفريسيين ردة فعل الناس هذه، فأخذوا يتهمون المسيح في أفكارهم أنه يخرج الشياطين بقوة بعزبول رئيس الشياطين. ويبدو أن الجنون في هذا الإنسان الذي شفاه المسيح، كان نتيجة سكنى الشياطين

بداخله. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتهم فيه الفريسيون المسيح أن به شيطاناً.

لم تكن ردة فعل الفريسيين هذه إلا تأكيداً لرفضهم الاعتراف بالمسيح والإيمان به. لكن المخلص المسيح الذي كان يقرأ أفكار الناس، ويعرف دواخلهم، بسبب طبيعته الإلهية، كشف حمق أقوال الفريسيين، وفضح مدى تناقضها مع الواقع، ومحاولتهم خداع الناس العاديين. فبين لهم أمراً بديهياً: «أن كل مملكة منقسمة على ذاتها تُخرب، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت». ثم تساءل المسيح قائلاً: «فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته. فكيف تثبت مملكته؟» وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون؟ لذلك هم يكونون قضاةكم!».

لقد قدم لهم المسيح حجة واضحة وبرهاناً قوياً. فمن البديهي أن كل مملكة أو مدينة منقسمة أو بيت منقسم يخرب ولن يثبت. وبالتالي فمن غير المعقول أن الشيطان يعمل ضد نفسه، ويخرج الشياطين من الناس، وإلا انهارت مملكته. وهكذا من غير الطبيعي أن يخرج المسيح الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين. نعم، لقد فضح المسيح بكلامه حقيقة موقف الفريسيين الراض له، وتناقضه مع الواقع. وكشف في نفس الوقت صحة ادعائه أنه قد أتى من قبل الله. وليس هذا فحسب بل أنه هو المسيح المنتظر ابن داود، المخلص الذي وعد به الله منذ القديم، وتنبأ عنه الأنبياء، كما ظنت الجموع.

مستمعي العزيز، أجل، لقد برهن المسيح بتعاليمه الإلهية السامية، وعجائبه الباهرة، أنه هو حقاً المخلص الحقيقي، الذي وعد به الله منذ بدء الخليقة. وتنبأ عنه الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس منذ مئات السنين. فهل تراك تشك بهذه الحقيقة الهامة؟ وأثبت المسيح بإخراجه للشياطين أنه هو كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي له كل السلطان لقهر الشيطان والأرواح النجسة. ولهذا كانت الشياطين ترتعب منه وتهرب خائفة. وتعترف به في نفس الوقت أنه المسيح المخلص، ابن الله الوحيد الذي أتى من عند الله.

هل تعلم مستمعي أن المسيح ما زال حياً إلى اليوم؟ فبعد أن مات على الصليب ودُفن قام من بين الأموات قاهراً إبليس الشيطان، وغالباً الموت عدو الإنسان اللدود. وهو حي اليوم في السماء لديه كل القوة والسلطان. وسيأتي ثانية بقوة ومجد عظيمين لكي يدين الأحياء والأموات ويملك إلى الأبد. لهذا ندعوك لكي تؤمن بهذا المخلص الفريد، الغالب المنتصر، والذي لديه الآن كل القوة والسلطان لكي يحررك من عبودية الخطية، ومن قوة إبليس، ويجعلك خليفة جديدة. وهكذا تعيش حياة النصر والغلبة مع المسيح الغالب المنتصر.

فهل أنت متعب يا صديقي وتعاني من مشاكل شخصية وعائلية متعددة؟ تعال إلى المسيح فهو الوحيد القادر على تحريرك وجعلك إنساناً جديداً. وهو قادر أيضاً على شفاء مشاعرك الجريحة وحل مشاكلك العويصة المتراكمة. تماماً كما شفى هذا الإنسان الذي تحدثنا عنه في لقاء اليوم. تستطيع أن تحصل على كل هذه البركات، إن أتيت إلى الله تائباً عن ذنوبك، ومؤمناً بالمسيح المخلص، الذي مات على الصليب عوضاً عنك، ثم قام من بين الأموات لكي يهبك الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود. فهل تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد وقبل فوات الأوان؟